مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص184-196

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إشكالية تلقي وتأويل الخطاب الصّوفي: – محيي الدّين بن عربي أنموذجا –

the problematic of Sufi dis-course receipt and interpretation – ibn Arabi as a case study

أوبشير إيمان[1] *

[1]جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، مخبر تحديث النحو العربي

oubachir.imane@hotmail.com

أ.د بلقاسم محمّد[2]

[2] جامعة جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر

kacem1962@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/07/08 تاريخ القبول: 2020/08/16

ملخص:

لقد أسهم المتصوّفة في خلق وعي للتّلقّي بِدفع المتلقِّي إلى سِحر الرّمز و الإشارة و التّأويل، فاعتمدوا على الغزل و اتّخاذ التّأويل وسيلة لتبرير طبيعة التّفاعل و هو ما كشف عنه ابن عربي في اعتماده الخيال و الشّطحات الصّوفية و الرّمزية في تأويل الخطاب الصُّوفي، و هي أولى دلالات قصد التّفاعل بين النّصّ و المتلقي .فقد استطاع أن يتفرّد برصيدٍ لغوي لا يُستهان به في تعامله مع اللّغة من منظور تأويلي، حيث حُظي ابن عربي بحيّزٍ كبيرٍ من اهتمامات الدّارسين للتُّراث العربي الإسلامي، سواءً من العرب أو من الغرب، بِحكم أنّ أعماله تمثّل بوّابة كبرى لمن أراد الدّخول على عالم التَّصوّف الإسلامي، و يكمن سرّ هذا الاهتمام في رمزيته و مجالات التَّأويل الواسعة التي فتحها على العقل و القلب و الغوص في عَالمٍ مطلقٍ سعيًا وراء الكمال و بلوغ المقام .

الكلمات الدالة: التّصوّف.، التّأويل.، الخطاب.، الرّمز.، دراسات التّراث الإسْلامي.

Abstract:

Sufism contribute to make us aware of the importance of receiving or reading and is pushing the receiver (reader) to understand the magic of the signals; the unspoken and to interpret the senses.

The followers of Sufism relied on Gazel which is a literary genre based on the interpretation to justifying the nature of the interaction as it results from the texts of Ibn Arabi which is based on the imaginary; sufit's structures and symbolic to interpret a Sufi speech

* **المؤلف المرسل**: أوبشير إيمان، **الايميل**: oubachir.imane@hotmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

And this to create an interaction between the text and the reader he was able to create a considerable linguistic arsenal using the language in its interpretative aspect .

Mahieddine Ibn Arabi has also aroused the curiosity of many linguists and has been the subject of different Arab and Islamic heritage studies done by Arabs and Westerners scientists , as his works represent an open portal to the world of Islamic Sufist; his texts based on symbolism and interpretation have opened to the mind and the heart the possibility of traveling into a world without borders and giving free rein to his imagination to achieve the perfection and prestige

Keywords: Sufism; Islamic heritage studies; Interpretation; Symbolic; Dis-cours.

مقدمة:

إنّ مسألة التّأويل تحمل أهمّية كبرى، شغلت اهتمام الفلاسفة و الأدباء قديمًا و حديثًا ، فإذا كانت التأويلية قديمًا قد ارتبطت بتأويل الكتب المقدّسة فإنّ التّأويلية المعاصرة قد ارتبطت بالرومانسية، وأصبحت تُعنى بالنّصوص الفلسفية و الأدبية و الدّينية على حدّ سواء، و عطفًا على ذلك يمكن القول أنّ التّأويلية في دلالتها المعاصرة قراءة رمزية تأويلية تُعنى بتفسير المعاني الباطنية الخفيّة، مع تجاوز المقاربة النّحوية و البلاغية التّقليدية إلى تأويلية استكشافية و الانتقال من الظّاهر إلى الباطن، و العمل على تأويل الدّلالات الحرفية المباشرة بدلالات رمزية.

مِن هذا المنطلق ،حاولت الإجابة على تساؤلات عديدة :

* فيم تكمُن حقيقة التأويل الصوفي ؟ – ما هي خصائِصه و أنواعه ؟
* ما هي أهم المظاهر و الآليات الّتي تأثّر بها ابن عربي في تأويله للخطاب الصوفي ؟

و قد ابتغيت من البحث في هذا الموضوع :

- أن أنفخ الرّوح من بوق هذا البحث في الكرام القارئين فأوقظ همما، و أحيي عزائم .
- أن أستقرئ مُساهمة التأويل في خدمة الأدب العربي و أصالة الدراسات العربيّة الدينية.

و لأنّ المنهج التّكاملي مِن خير ما استقرّت عليه مناهج الدّراسة الأدبية ، فقد اعتمدته حسب ما رأيته مناسبا لطبيعة الموضوع : فا**لمنهج الوصفي** أثناء تحديد ماهية مصطلح التأويل ، ثمّ **المنهج التّاريخي** عند تتبّع و تقصّي مظاهر و آليات قراءات ابن عربي ، و **المنهج التّحليلي** من خلال تحليل النّماذج المختارة لدراسة هذا الموضوع.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أمّا عن الخطّة الّتي اتبعتُها في هذا المقال ، فتتمثّل في ثلاثة عناوين رئيسية، تسبقهم مقدّمة و تعقبهم خاتِمة

أمّا **العنوان الرئيسي الأول** : عنونته ب : " مصطلح التأويل " فقد تعرّضت فيه إلى ماهية التأويل لغة و اصطلاحا .ثمّ انتقلتُ بإيجاز إلى كينونته عند العرب ثم عند الغرب ثم عند المحدثين، مُسترشدة مُستضيئة بِرأْيٍ من سبقني. أما **العنوان الرئيسي الثاني** : فقد عنونته بِ" التّلقّي و التّأويل في الخطاب الصوفي". حيث تضمن عنوانين فرعيين: الخطاب الصّوفي و إشكالية التّلقي في الخطاب الصّوفي. أما **العنوان الرئيسي الثالث** : هو عبارة عن قراءة للتّأويل الصوفي عند ابن عربي حيث كان مرورا على أهم مظاهره و آلياته كاللغة و الرمز و الخيال...إلخ

أولا: مصطلح التّأويل : المفهوم و الظّاهرة

1 عند العرب:

لِمعرفة معنى التّأويل لابدّ من الرجوع إلى معاجم اللّغة، و من ذلك لسان العرب إذ نجد فيه دلالاتٍ متعدِّدةٍ منها : الأول و الرّ جوع، آل يؤول أي: رجع، أوّل إليه الشّيء: رجّعه، ....أَوّل الكلام و تأوّله أي : دبّره و قدره، أوَّلَه و تأَوّله أي : فسّره الشّيء. (ابن منظور، 2003، صفحة 32)

و في أساس البلاغة : فإنّ الفعل آل له معنى آخر و هو : آل الرّعيّة يؤولها إيّالة حسنةً، و هو حسن الإيالة أي: حسن السّياسة (الزمخشري، أساس البلاغة، 1973، صفحة 25)

و أمّا الزّركشي في البرهان فيقول: "و أصله من المآل و هو العاقبة و المصير، و قد أوّلته فآل أي صرفته فانصرف، فكأنّ التّأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني، و قيل أصله من الإيالة أي السّياسة، إذ كأنّ المؤوّل للكلام يسوي الكلام و يضع المعنى في وصفه" (الزركشي، 1957، صفحة 149).

و أمّا في معجم مقـــاييس اللّغة لابن فارس، فيقول أوّل الحكم إلى أصله أي أرجعه و ردّع إليهم، و آل جسمُ الرّجل: أي نحف ... و من هذا الباب تأويل الكلام و هو عاقبته و ما يؤوّل إليه (ابن فارس، 1366هـ، صفحة 59).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

2 عند الغرب

إنَّ التّأويل ضارب بجذوره في التّاريخ البعيد حيث ظهر عند اليونان باعتباره عِلمًا تفسيريًّا، و تِقنيّةً في قراءة نصوص الأدب الرّسمي و فهمها و إفهامها كما هو الشّأن في شعر هوميروس و ملاحمه.

فالتّأويل عند الغرب ينصبّ على قول الوجود أو الواقع أي أن نسمي الأشياء بواسطة علامات اللّغة، و المقصود المعنى المنطقي للجملة الخبرية الّتي تمثّل الصّدق أو الكذب .

حيث أنّ التّأويل عند جادامير H.G.GADAMAR يتّخذ طابعًا فلسفيًّا أنطولوجيًّا وجهه إلو محاولة تفسير شروط إمكانات الفهم بصورة عامّة ، فهو يحدِّد علاقة المؤوّل بالنّصّ، فيقول :" لا يجادل المؤول و بحضور نصّ ما تطبيق معيار عام لحالة خاصّة، و إنّما ينصبّ اهتمامه على الكشف عن دلالة أصليّةٍ تمامًا متوارية في المكتوب المراد معالجته.

كما وضع بول ريكور P.RiCOEUR فلسفة لفهم الذّات في العالم عن طريق تلك الثّقافات و الرّموز و النّصوص، فهناك صراع دائم بين التّأويلات إلى حدّ التّعارض التّنازع (فاطمي فتيحة، د.ت، صفحة 49)

3 عند المحدثين

إذا جئنا إلى المعنى الاصطلاحي الحديث نجد أنّ نصر الدّين حامد أبو زيد يرى أنّ مفهوم مصطلح التّأويل قد اتّسع في الفكر الحديث، فصار يتناول إلى جانب النّصوص الدِّينية عمليّات التّأويل المعروفة في العلوم الإنسانية كالتّاريخ و عِلمي الاجتماع و الأنتروبولوجيا، و علم الجمال و النّقد الأدبي والفولكلور، و أصبح التّأويل فعل قراءة لأيّ ظاهرة تاريخية أو فلسفية أو أدبية أو سياسة أو اقتصادية بناءً معقّدًا من العلاقات الّتي تتضمّن عناصر الذّات و الموضوع و السّيّاق و سنن العلامات و الرسالة (نصر حامد أبوزيد، 2000، صفحة 176).

في حين يراه " صلاح صالح " طريقًا أو منهجًا للفهم و التّفسير و التّقويم الجمالي، و ليس نظريةً نقدية مرتبطة بِنظريّة فلسفيّةٍ أو إيديولوجية، أو مواقف فكرية متباينة، و و كلّ منهم يمارس عمليّة تأويلية للنّصوص بما ينسجم مع موقفه أو توجّهه الفلسفي الإيديولوجي (صلاح صالح، 2006، صفحة 06) .

وهكذا انتقل التّأويل من مجرّد البحث عن المعنى الكامن وراء اللّفظ المجازي إلى عمليّة تفكيك و تنقيب لا تنتهي منها سيرورة المعاني و الدّلالات ، و من مجرّد آية أو نصّ شعري إلى تأويل في جميع مجالات العلوم الإنسانية من أدبٍ و تاريخٍ و علميْ الاجتماع و الأنتروبولوجيا و النّقد و غيرها.

ثانيا: التّلقّي و التّأويل في الخطاب الصّوفي

1 الخطاب الصّوفيّ:

الخطاب الصّوفي هو خطاب يحاكي التّجربة الإنسانية، يخدعها و يوهمها ، من أجل أن يتمكّن من القبض على خباياها و مكامنها حتّى يرصدها بِكامل أبعادها الفكرية و الرّوحية، فيكثر التّأويل في مناخ الأحلام و الرّؤى الغامضة، مما يؤدّي إلى مفرداتٍ خاصّة و إحالات ثقافية مغرقةٍ في الإيهام و الغوص الذّاتي و الهيام الرّوحي.

وهو ذلك الخطاب المميّز الّذي يعتمد في تفكيره على قراءة الذّات و تتبّع حركيّتها، و ذلك بالتّفتيش عن تفاصيلها النّفسية و توهّجاتها الروحانية، و الكشف عن حقيقة صراعها مع الوجود و مع المطلق، و هو – إذ ذاك- ينشد أفقًا مغايرًا، و مختلفًا هو أفق :الحلم و السّحر، و الرّؤيا و الحدس، و الكشف و الشّطح (متولي مروة، 2008، صفحة 136) و القارئ للخطاب الصّوفي يجد نفسه في مواجهة نصٍّ يهوى البحث عن تشظّيات الأنا و الغوص في حقيقة التّجربة الإنسانية، لأنّه يحاول أن يقيم قراءةً للذّات و للوجود و للمطلق بكامل "أبعادها الفكرية و الرّوحية فيكثر التّأويل في مناخ الأحلام و الرّؤى الغامضة، مما يؤدّي إلى مفرداتٍ خاصّة، و إحالاتٍ ثقافية مغرقة في الإيهام و الغوص الذّاتي و الهيام الرّوحي" (نفسه، صفحة ص139).

2 إشكالية التّلقي في الخطاب الصّوفي

لقد أسهم المتصوفة بخلق وعي للتّلقّي بدفع المتلقّي إلى سحر الرّمز و الإشارة و التّأويل، ذلك لأنّ الإحساس بضيق العبارة قاد المتصوّفة و منهم : (ابن عربي ، الحلاّج، النّفري و التّوحيدي و غيرهم ..) إلى اشتغال واسع و متميّزٍ عليها، و أصبحت اللّغة عندهم أفعالا لا تنجز باستمرار، و الكتابة ممارسة اشتهاء، يبدو فيها الكاتب في كلّ كلمة منها منشغلا بخلق أسلوب في اللذّة، و سلطة الإغراء المعرفي الجمالي، فبدت نصوصهم غير قائمةٍ على بلاغٍ أو إخبار أو معارف بقدر ما هي تبليغ يقوم على المشاركة في عمليّة التّخاطب (بلعلي آمنة، 2010، صفحة 274).

ثالثا: التّأويل الصُّوفي عند ابن عربي

لم يكن مذهب ابن عربي سوى تأويل نبيه للقرآن الكريم، مقتفيا أثره البياني، متشرِّبًا من منهله العرفاني، جامعًا بين محاكاة المبنى و التماس المعنى، لم يأت هذا التّأويل على شاكلة التّفاسير أو التّأويلات العريقة، إنّما جاء على شكل نظريّات، قائمة في مجملها على الوحدة الوجودية و الرَّحمة الشَّاملة، في تأويله للقرآن حيث جمع بين المعرفي و الوجودي، بين الحقّ و الخلق، بين الحرف و المعنى (الزين محمد شوقي، صفحة 99) ،

لاشك أن ابن عربي كانت له تجربة عرفانية متداخلة مع التجربة الصّوفية، الّتي أخذ منها المعجم و الطريقة، و الّتي وضعها في برزخ بين التّصوّف و العرفان، فقد اعتمد على مجموعةٍ من المظاهر و الآليات الّتي نحاول أن نوجزها كما يلي :

1 مظاهر التّأويل عند ابن عربي:

أوّلا: الظاهر و الباطن : اعتمد ابن عربي على لغة مزدوجة – لغة الظّاهر و الباطن- ممّا جعل أسلوبه غامضًا يعسر فهمه على كثير من قارئيه، لأنّ الهدف الأسمى لابن عربي هو الباطن، و هو مذهبه الذي يحاول جاهدًا التّوفيق بينه و بين الظّاهر، ملتمسًا له شتّى التّأويلات و التّخريجات من نصوص الكتاب و الحديث، فلطالما كان ابن عربي ظاهريًّا في العبادات باطنيًّا في السّلوك و الأذواق، فهو يقول مخاطبًا أهل الظّاهر بأنّهم :" **أخذتم عِلمكم ميّتًا عن ميّتٍ، و أخذنا علمنا عن الحيّ الّذي لا يموت**" (ابن عربي.، صفحة ص365) ، أي أنّ العلماء من غير الصّوفية وصلهم العلم من الرّسول صلى الله عليه و سلم عن طريق سلسلة من رجال قد ماتوا، أمّا الصّوفية فيأخذون عِلمهم من اللّه مباشرة عن طريق الكشف.

ثانيًا : التّأويل المذموم : لقد تكلّم كثير من العلماء عن جناية التّأويل الباطل على الإسلام و أهله، فقد ذكر ابن القيّم أنّ "التّأويل أصل خراب الدِّين و الدّنيا، فما اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتّأويل، و أعداء الإسلام سُلِطوا علينا بالتّأويل، و دماء المسلمين إنّما أريقت بالتّأويل" (ابن القيم، د.ت، صفحة 317).

و هذا ما فعله ابن عربي في تأويله لِآيات العبادات يأخذ بِمعانيها الظّاهرة و الباطنة، أمّا في آيات المعتقدات فلا يأخذ إلاّ المعاني الباطنة منها ، مستخدمًا المعنى الظّاهر تكأة يتّكىء عليها، و سِتارًا يستتر

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

خلفه، فعقّد البسيط و أخفى الواضح، و كاد بِمنهجه الخطير في التّأويل أن يحوّل القرآن إلى قرآن جديد (ابن عربي، 1969، صفحة 13)

ثالثًا / التّأويل الممدوح : إنّ النّاظر في مؤلّفات ابن عربي لا يجد ذلك التّفاعل بين الكاتب و القارئ، لِغياب المقصديّة في التّأليف، لأنّه لا يعتبر نفسه مؤلِّفا كبقيّة المؤلّفين، و لأنّ مؤلفاته ترد إليه في شكل أملاءات في نوم أو يقظة، و لم يكن التّأليف مقصده المبنى على منطق و رويَّةٍ (المرجع نفسه، صفحة 22) .

لقد اتّفق ابن عربي مع الفقهاء على ضرورة التزام الظّاهر في فهم القرآن و الحديث الشّريف، و يرى أنَّ اللجوء على التّأويل و علم الكلام من أجل الدِّفاع عن العقيدة الإيمانية و نصرتها بالحجج العقلية، فقال: "**و علماء هذا العلم رضي الله عنهم ما وضعوه و صنّفوا فيه ما صنّفوا لِيثبتوا في أنفسهم العلم بالله و غنّما وضعوه إرداعًا للخصوم، الّذين جحدوا الإله أو الصفات أو الرّسالة**" (ابن عربي، صفحة 156).

كما اتّفق ابن عربي مع الفقهاء بالرّغم من الخصومة الشّديدة معهم عل حاجة المجتمع إلى التّعدّد في علماء الشّريعة بهدف تعليم النّاس ما كلّفهم به الشرع و لا يحتاجون إلى علماء الكلام و لا إلى التّأويل . يقول ابن عربي : " **اِعلم أنّ الله خاطب الإنسان بِجملته و ما خصّ ظاهره من باطنه، و لا باطنه من ظاهره، فتوفّرت دواعي النّاس أكثرهم إلى معرفة أحكام الشرع في ظواهرهم، و غفلوا عن الأحكام المشروعة في بواطنهم ، فما من حكم قرّروه شرعًا في ظواهرهم إلا و رأوا أنّ ذلك الحكم نسبةً إلى بواطنهم، فأخذوا على ذلك جميع أحكام الشّرائع ، فعبدوا الله بما شرع لهم ظاهرًا وباطنًا، ففازوا حين خسر الأكثرون**" (المصدر السابق، صفحة 563)

2 آليات التّأويل عند ابن عربي

1 / اللّغة : لقد استعمل الصوفية لغة خاصّة في التّعبير عن مواجيدهم و بواطن أفكارهم، تعتمد التجربة و المعرفة الذّوقية، فكما أنّ لكلّ علم مصطلحاتهم ، فإنّ للصّوفية مصطلحاتهم و لغتهم الخاصّة، يقول أبو العلا عفيفي : "إنّ لغة المنطق قاصرةٌ عن أن تعبّر عن تلك المعاني الذّوقية الّتي يدركها الصّوفيّ في أحوال وُجده، فليس لديه إلا لغة الإشارة و الرّمز و لغة الخيال و العاطفة، يومئ بها إيماء إلى

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تلك المعاني الّتي لا يدركها على حقيقتها إلا من ذاق مذاق القوم و جرّب أحوالهم" (العفيفي أبو العلا، 1980، صفحة 19) " .

لقد جاءت لغة الكتابة عند ابن عربي و مفرداتها المتباينة تتخطّى كونها : " **وسيطًا بين العالم و الإنسان**" (نصر حامد أبو زيد، 1999، صفحة 32)

و لِمزيدٍ من الفهم و التّوضيح نضرب جملة من الأمثلة : ك " الجمال" ، "المرأة" ، "الحبّ" ، "العذاب"، "البرق"...، فهذه الكلمات إذا وضعناها في سياقاتها اللغوية المختلفة كما وردت في كتاب ابن عربي (الفتوحات المكية) وجدناها قد شُحنت بدلالاتٍ جديدةٍ، و من تلك الدّلالات ما يلي :

* **الجمال** : يعبّر قديمًا عن كلّ ما يصنع الإثارة في النّفس فتميل إليه و ترتاح له، و لكن ابن عربي شحنه بمعانٍ أخرى ليصبح دالا على نعوت الرّحمة و الألطاف من الحضرة الإلهية .

* **المرأة** : هي الجوهر الأنثوي أو الأنوثة السّارية في العالم، و بيت الرحم الكونية و محلّ التواصل مع الخالق و الخارق، و هي لم تتجاوز في اللغة القديمة كونها محلاً للإثارة و مختزلاً لإفراغ غلواء الشّهوة .

* **الظّلّ** : يعبّر به عن الرّاحة خلف الحجاب كما يعبّر به عن الموجودات باعتبارها ظلالا للحقّ .

* **الحبّ** : في اللّغة الموروثة يعبّر عن العواطف و الأحاسيس، أمّا ابن عربي فقد شحن هذه الكلمة بِأعمق ما هو معروف قديمًا، لتحرز قيمةً أخرى ذات أهمّية بالغة تشمل جميع الموجودات ذاخل العالم العربي الّذي يعتبره ابن عربي كتابًا مسطورًا و نتيجةً للحبّ، فالحبّ هو الأصل و نتيجةً للعالم و الصّدور، و منه كان الوجود المحدث .

فلغة ابن عربي هي لغة حبّ و كشفٍ، و لغة مسايرة لما يتجلّى و يشرق من حقائق عبر التّماهي المتواصل مع الحقّ، و في هذا يقول ابن عربي " **لسنا من أهل التّقليد بحمد الله، بل الأمر عندنا كما آمنّا به من عند ربّنا شهدناه عيانًا**" (ابن عربي، صفحة 86). فابن عربي مُلهم المعنى و المبنى معًا إذ يقول : " **إنّا نظمنا لك الدرّ و الجوهر في السلك الواحد و أبرزنا لك القول في حضرة القول المتباعد، إنها رموز و أسرار لا تلحقها الخواطر و الأفكار، إن هي إلا مواهب من الجبّار جلت ألن تنال إلا ذوقًا و لا تصل إلا لمن هام عشقًا و شوقًا**" (ابن عربي، الرسائل الإلاهية، 1325هـ، صفحة 342)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إنّ ما يميّز لغة ابن عربي هي ولعها بالذّات و تتبّع حركتها الدّاخلية بالغوص في تفاصيلها النّفسية و طقوسها الرّوحانية، لذا فإنّها تنبني على أفقٍ مغايرٍ هو أفق الحلم و السّحر و الرّؤيا و الحدس و الكشف ...

2 / الرّمز : يعدّ الرّمز الصّوفيّ تجاوزًا للواقع و معادلا موضوعيا لما يُعتمل في نفس صاحبه من عواطف و مشاعر و انفعالات، و يلجأ الصّوفي إلى الترميز عن طريق الإيماء و الإشارة إمّا لغرض تقريب الفهم للأدنى مقامًا من الصّوفية أنفسهم ، أو المتعاطف معهم المسلّم لعلومهم أو بهدف صون الأسرار و الحفاظ عليها، و الرّمز عند الصّوفيين هو التّلميح و من هذه الرّموز : الاستعارة و الكناية و التشبيه..

و من أنواع الرّمز عند ابن عربي :

❖ **رمز المرأة** : لقد عبّر الصّوفيّ ابن عربي بواسطة الغزل بالمؤنّث عن تجلّي الكمال الإلهي في الكون، و عن حبّه و عشقه لله الجميل، و رغبته في التقرّب إليه و تصوير حال الاتّحاد مع الله الحبيب ، و الفناء فيه و تصحيح محبّته ، بتصحيح معرفته و توحيده ، و ذوق جماله و جلاله و كماله ، يقول ابن عربي :

فَمَــا ثمّ مَحْبُوبٌ سِوَاه و إنّما سُليمى و ليلى و الزّيانب للسّتر

فَهنّ سُتُورٌ مسدلاتٌ و قد أتى بِذلِكَ نظْم العَاشِقِينَ مع النّثْرِ

كَمجْنُون ليلَى و الّذي قبله كبشر و هند ضاق عن ذكرهم صدري (ابن عربي، صفحة 413)

فالمرأة عند ابن عربي هي المهيمنة على تفكيره، حيث يمتلئ كتابه بآراءٍ متناثرة عن المرأة، سواءً أكانت أمًّا أو أختًا أو بنتًا أو زوجةً أو حبيبةً ، و في ديوان (ترجمان الأشواق) يتحوّل جمال المرأة من مقيّد إلى جمال مطلق، إذْ يبيّن فيه سبب اختياره للغة الغزل في الإيماء للواردات الإلهية، و التّنزّلات الرّوحانية إذ يقول:"**أشير إلى معارف ربّانية، و أنوار إلهية و أسرار روحانية، و علوم عقلية، و تنبيهات شرعية، وجعلتُ العبارة عن ذلك بلسان الغزل و التّشبيب لتعشق النّفوس بهذه العبارات، فتتوفّر الدّواعي على الإصغاء إليها**" (ابن عربي، ترجمان الأشواق، 1992م، صفحة 05).

❖ **رمز الخمر** : الخمر رمز من رموز الوجد الصّوفي و هو رمز موجود صراحةً أو تلميحًا في كتاباتهم، و الخمر عند ابن عربي متاحة مباحة، بل لابدّ منها للعارف، لأنها مترعة بمعاني الشرب

والحضرة و الارتواء و الغيبة ...، و من الأبيات الخمرية الرّمزية الّتي ذكرها ابن عربي في كثير من قصائده قوله :

واردات الأفراح إن وردت ذهبت بالأتراح

سائلي عن نفسي

هل لها من أنس

خَمرة في أقْداحٍ أنوارها من زناد القداح

يَا حبيبي قُلْ لي

إنْ هَجَرْتَ مَن لي

فَلْتَقُمْ من أجلي (زكي مبارك، د.ت، صفحة 215)

❖ **رمز السّفر** : يوجز ابن عربي كلّ أسفاره و رحلاته و هجراته إلى علم الملكوت، و تحرّره بالكلّية من عالم الأشياء المحسوسة، المعدومة في حقيقتها، و التّنقّل من الظّاهر إلى الباطن، بسلوكِ طريق الحقيقة حتّى الوصول إلى الحقّ حيث النّقطة و مركز الدّائرة، يقول ابن عربي في هذا المجال : " **إنّي سافرتُ لكي أصحّ و أَغْنَم و أتعلّم ما لم أكن أعلمْ، فَهجرتُ الأهل و الوطن، و رحلتُ من ساعتي عن أرض البدن، و انتقل بدر حقيقتي من سعد الذّابح إلى سعد السّعود، و امتطيْت الجواب قاصدًا حضرة الملك بالمنّة عن العادة مخافة الهلاك و قطعت اليباب الشّاسع حتّى بلغت المقَامَ التّاسعَ .. و خلعْت النّعليْن عندما جزت موضِعَ القدمَيْن و خرقتُ الحجاب و فتحتُ الأبواب، فأشرفتُ على جبل الطّور وَ بدا لي فيه الكتاب المسطور** (ابن عربي، 1948م، صفحة 11 /12)"

إنّ السّفر عند ابن عربي هو حركة يجب أن تكون نحو الله، في الله و بالله، فهده الهجرة الّتي يتحدّث عنها ابن عربي تكون بتفريغ الهمّة بالعزلة و الخلوات المتكرّرة، و النّفض و التّرك و بالسّلوك الّذي يفني كلّ الأغيار، و لا يبقى أمام القلب سوى الحقّ المراد الوصول إليه و التّنعّم في حضرته، و هي هجرة قاسية صعبة. إنّ كلّ المعاني الباطنية العميقة لِمفهوم السّفر عند ابن عربي لا تنأى عن المدلول اللّغوي لِكلمة سفر، بل هي امتداد و تعميق متعمّد له. و كلمة سفر عند ابن عربي تعلّق مجموعة من الأسرار و

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الاشتقاقات منها: الإضاءة و الإنارة و الإشراق و كلّها معاني ينشدها الصّوفي المسافر المتحرّك بِهمّته إلى الله.

3 / الخيال : يرى ابن عربي أنّ الخيال : " **نورٌ يُدرك به كلّ شيء، أي أمر كان ...فنوره ينفد في العدم المحض فيصوِّره وجودًا ، و هو نور عين الخيال لا نور عين الحسّ** " (ابن عربي، الفتوحات المكية، صفحة 74).

و الخيال عند ابن عربي نوعان : متّصل و منفصلٌ، فالمتّصل هو القوّة المتخيّلة المخلوقة في الإنسان، و الّتي يدخل بها إلى حضرة الخيال المنفصل، في اليقظة و في النّوم . أمّا الخيال المنفصل فهو حضرة البرزخ الجامعة الشّاملة، حضرة التضاهي الخيالي والتّمازج، ففي هذه الحضرة يتجلّى الحقّ في الصّور، وفيها تظهر الرّوحانيات من الملائكة في الصّور، و فيها تتنزّل المعاني في الصّور و القوالب الحسّية

و قد ركّز ابن عربي على مجموعة من العناصر في الخيال منها : الكشف و الذّوق و الوجد .

خاتمة:

و في وصول هذا البحث إلى غايته الّتي يُرتجيها؛ نستنتج جملة من النّقاط أهمّها :

❖ أنّ مجمل التصورات التي قامت عليها المعرفة الصوفية انطلاقا من صيغة وحدة الوجود، وصيغة الظاهر والباطن هي عملية تأويلية كبرى يتم فيها الولوج والعبور من الظاهر إلى الباطن ومن الكثرة المشهودة إلى الوحدة المستورة .

❖ أنّ الخطاب الصّوفي طفرة في الكتابة ، بل إنّ التّصوّف فِكرًا و أدبًا؛ هو نِتاج قراءةٍ تأويلية لِنصوص الثّقافة المركزية، و ينمّ عن عقليةٍ علائقية ذات مقاصد دالّة عميقة .

❖ أن الخطاب الصّوفي في واقعه الأوّلي هو نصّ لحظة أو حالة خاصّة يزخر بالمعاني الكامنة، غير المعلنة، و أنّه قابلٌ للقراءات و التّأويل المستمرّين .

❖ أن الخطاب الصّوف رمزيّ في الأساس، يطغى عليه الإغلاق و الغموض، و يحتاج في فهمه إلى التّأويل، لأنّه مبني على الظّاهر و الباطن، و لغته متفرّدةً تحمل معاني جديدة غير مألوفة في الإرث اللغوي بشكل عامّ و الشّعري بشكل خاص .

❖ أنّ التّأويل الصّوفي منفردٌ بِصعوبته و غموضه الّذي يجعل القارئ دائمًا في حالة من القل و التّشتّت، فيدرك حينها عدم قدرته على استيعابه بشكل واضح أو الوصول إلى أعماقه و حقائقه لأنّه

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يوجد فيها بنية تنبني على دلالاتٍ لا تقول إلا رموزًا و إشارات، ذلك أنّ اللّغة كنظام تبدو قاصرة أمام الحالة الرّوحية الّتي يعيشها الصّوفي حيث أنّ الصّوفي معرفته أوسع من لغته .

❖ أنّ القراءة التّأويلية لدى الصوفية تتوزّع عبر مسافات تأويلية عديدة، فهي تعبيرًا عن الوصول إلى أقصى حالات المعرفة، و هذه المعرفة تحمل معاني لا يعرفها إلا الفكر الصّوفي، فينطبق عليها جملة من المصطلحات ك: الحبّ و السّكر و الإلهام و الوجد و الوجود ...هي تنسلخ من معناها الدّارج لتحمل معاني روحانية و قِيم وجدانية.

❖ أن الملاحظ لتأويلات ابن عربي أنّها مبينّة على مبدأ الظّاهر و الباطن، فكلّ شيء عنده متكوّنٌ من ظاهرٍ ليس هو المقصود، و من باطنٍ هو المقصود عند أهل الباطن ، و عليه جاءت تأويلاته بعيدةً، و في كثير من المواطن مخالفةً لآراء كثيرٍ من العلماء و الفقهاء بل لكثيرٍ من آيات القرآن الكريم و الأحاديث النّبوية الشّريفة .

قائمة المراجع:

01 .ابن عربي – ترجمان الأشواق – دار صادر للطّباعة و النّشر – بيروت، لبنان – 1992م.

02 .ابن عربي – الرّسائل الإلهية – مطبعة السّعادة – مصر – 1325هـ .

03 .ابن عربي – الفتوحات المكّية – ، بتحقيق وتقديم عثمان يحي وتصدير ومراجعة إبراهيم مدكور، ط 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987..

04 .ابن عربي – الكتاب التذكاري– دار الكاتب العربي للّطباعة و النّشر – القاهرة– مصر – 1969 .

05 .ابن عربي –كتاب الكتب – جمعية دار المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – 1948م .

06 .ابن فارس – معجم مقاييس اللّغة – تح: عبد السلام هارون –القاهرة – 1366هـ – ج1 –(مادّة أول)

07 .ابن القيم الجوزية – إعلام الموقعين – دار ابن حزم للنشر و التوزيع – جدّة المملكة العربية السعودية – ط1 –ج4 .

08 .ابن منظور – لسان العرب – دار صادر – بيروت – لبنان – 2003(مادّة أول).

09 .آمنة بلعلي – تحليل الخطاب الصّوفي – منشورات الاختلاف – الجزائر – ط1 – 2010 .

10 .الزّمخشري – أساس البلاغة – دار صادر – بيروت – لبنان – 1973م (مادّة أول) .

11 .الزّركشي – البرهان في علوم القرآن _ تح: محمد أبو الفضل ابراهيم – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – مصر – ط1 – ج2 – 1957

12 . زكي مبارك – التّصوّف الإسلامي في الأدب و الأخلاق – دار الجيل _ بيروت، لبنان – 1993

13 .الزّين محمد شوقي – الصورة و اللّغز: التّأويل الصوفي للقرآن عند محي الدّين بن عربي – دار مؤمنون بلا حدود للنّشر و التوزيع – دار الجيل _ بيروت، لبنان –1999.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

14 .صلاح صالح – مشكلات النقد التّأويلي – مهرجان القرين الثقافي – الكويت -2006.
15 . العفيفي أبو العلا– مقدمة فصوص الحكم لابن عربي – دار الكتاب العربي – بيروت – 1980.
16 .فتيحة فاطمي- التّأويل عند فلاسفة المسلمين؛ابن رشد أنموذجا- جداول للنّشر و التّوزيع- بيروت-ط1- د.ت .
17 .مروة متولي – حداثة النّصّ الأدبي المستند إلى التّراث العربي – دار الأوائل – ط1 – سوريا – 2008 .
18 .نصر حامد أبو زيد – الخطاب و التّأويل – المركز الثقافي العربي – ط1 – 2000 .
19 .نصر حامد أبو زيد – إشكاليات القراءة و آليات التّأويل – المركز الثّقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب – ط5 – 1999م .